

روح المعاني

نظرا إلى علو شأنه ومزيد فضل الله تعالى عليه وإحسانه وقد شاع حسنات الأبرار سيئات المقربين ومما يدل على استعظام ذلك منه لعلو شأنه عليه السلام ما أخرجه البيهقي في شعب الأيمان عن أبي عبد الله المغربي قال : تفكر إبراهيم في شأن آدم عليهما السلام فقال : يا رب خلقتك بيدك ونفخت فيه من روحي واسجدت له ملائكتك ثم بذنب واحد ملأت أفواه الناس من ذكر معصيته فأوحى الله تعالى إليه يا إبراهيم أما علمت أن مخالفة الحبيب على الحبيب شديدة .

وذكر بعضهم أن في استعظام ذلك منه عليه السلام زجرا بليغا لأولاده عن أمثاله وعلى العلات لا ينبغي لأحد أن ينسب إليه العصيان اليوم وإن يخبر بذلك إلا أن يكون تاليا لما تضمن ذلك أو راويا له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما أن يكون مبتدئا من قبل نفسه فلا وقد صرح القاضي أبو بكر بن العربي بعدم جواز نسبة العصيان للآباء الدينين إلينا المماثلين لنا فكيف يجوز نسبته للأنبياء الأقدام والنبي المقدم الأكرم وارضى ذلك القرطبي وادعى أن ابتداء الأخبار بشئ من صفات الله تعالى المتشابهة كاليد والأصبع والنزول أولى بالمنع وعدم الجواز ثم أن ما وقع كان في الحقيقة بمحض قضاء الله تعالى وقدره وإلا فقد روى عن أبي امامة الباهلي والحسن أن عقله عليه السلام مثل عقل جميع ولده وعداوة إبليس عليه اللعنة له عليه السلام في غاية الظهور وفي ذلك دليل على أنه لا ينفع عقل ولا يغنى شئ في جنب تقدير الله تعالى وقضائه ثم اجتبه ربه أي اصطفاه سبحانه وقربه إليه بالحمل على التوبة والتوفيق لها من اجتبي الشئ جباه لنفسه أي جمعه كقولك : اجتمعت أو من جبي إلى كذا فاجتبيته على العروس فاجتليتها واصل معنى الكلمة الجمع فالجبتى كأنه في الأصل من جمعت فيه المحاسن حتى اختاره غيره وقربه وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الأضافة إلى ضميره عليه السلام مزيد تشريف له عليه السلام فتأب عليه أي رجع عليه بالرحمة وقبل توبته حين تأب وذلك حين قال هو وزوجته : ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وهدى .

122 .

- أي إلى الثبات على التوبة والتمسك بما يرضى المولى سبحانه وتعالى وقيل إلى كيفية التوبة بتعليم الكلمات والواو لمطلق الجمع فلا يضر كون ذلك قبل التوبة عليه وقيل : إلى النبوة والقيام بما تقتضيه وقدم أبو حيان هذا على سائر الاحتمالات التي ذكرها والنيسابوري فسر الاجتناء بالاختيار للرسالة وجعل الآية دليلا على أن ما جرى كان قبل

البعثة ولم يصرح سبحانه بنسبة العصيان والغواية إلى حواء بأن يسندهما إلى ضمير التثنية الذي هو عبارة عنها وعن آدم عليه السلام كما اسند الأكل وما بعده إلى ذلك إعرافاً عن مزيد النعى على الحرم وإن الأهم نظراً إلى مساق القصة التصريح بما أسند إلى آدم عليه السلام ويتضمن ذلك رعاية الفواصل وحيث لم يصرح جل وعلا بعصيانها لم يتعرض لتوبيخها للتوبة وقبولها منها وقال بعضهم : إنه تعالى اكتفى بذكر شأن آدم عليه السلام لما أن حواء تبع له في الحكم ولذا طوى ذكر النساء في أكثر مواقع الكتاب والسنة .

قال استئناف مبني على سؤال نشأ من الأخبار بأنه تعالى عامله كأنه قيل : فماذا أمره بعد ذلك فقيل : قال له ولزوجته اهبطا منها جميعاً أي انزلا من الجنة إلى الأرض مجتمعين وقيل : الخطاب له عليه السلام ولابليس عليه اللعنة فإنه دخل الجنة بعد ما قيل له أخرج منها فانك رجيم للوسوسة وخطأ بهما